جامعة عبد الرحمن ميرة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي أ. شيبان سعيد/ المج 01

قضية التأويل بين القديم والجديد

تعد قضية التأويل من أبرز القضايا التي أثارت جدلا بين الباحثين في شتى مجالات الحياة الفكرية والأدبية والنقدية، بسبب ارتباط مصطلح التأويل بالمعنى والدلالة.

1) مفهوم التأويل لغة:

ورد في لسان العرب "أوَّل الكلام وتأَوّله: دبّره وقدّره، وأَوّلهُ وتَأَوُّله بمعنى فسّره"[1]. وقوله عزّوجلّ "ولمّا يأتيهم تأويلُهُ" أي لم يكن معهم علم تأويله. كما دلت كلمة تأويل على الرجوع والمآل، أي رد الشيء إلى أوله وأصله، وكأن المُؤَوِل أرجع الكلام إلى ما يحتملهُ من المعاني.وأوّل الكلام يعني دبره و قدرّه وفسّره. وقد وردت لفظة "تأويل" في سبع آيات قرآنية، ووردت لفظة "تأويله" ثمان مرات.

2) مفهوم التأويل اصطلاحا:

يستعمل التأويل في فهم معاني القرآن في ضوء خصائصه البلاغية وإعجازه البياني، وفي فهم معاني أشكال الخطاب الديني والأدبي، وقد تقاربت تعاريف العلماء في ضبط التأويل اصطلاحاً مع اختلاف في بعض الألفاظ.

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج3، ص171.

يعرفه ابن الأثير (ت637هـ) بقوله:"نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل، لولاهُ ما تُرك ظاهر لفظه"[2].

ويعرفه ابن رشد (ت597هـ) قائلا: "هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية"[3].

ويعرفه الشريف الجرجاني (ت740هـ) في كتابه (التعريفات) بقوله: "التأويل في الأصل (اللغة) الترجيح، وفي الشرع صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة"[4].

نستنتج من هذه التعاريف أن التأويل عُدُول (انتقال) عن ظاهر النص أو دلالة اللفظ إلى معنى آخر يحتمله، أو هو صرف اللفظ عن حقيقته إلى المجاز، مع وجود قرائن لفظية أو دليل يجعل المُؤَول يرجح أو يجتهد، فليس كل تأويل مقبول إلا بوجود قرائن لغوية أو أدلة تؤدي دورا أساسيا في توجيه المعاني سواءً في باب التفسير أو في باب التأويل أو في باب الاستدلال أو في باب الترجيح أو في مسائل الخلاف...

استنتاج: يتعيّن على مُؤَوِل الخطاب الديني أو الأدبي أن يكون متبحرا في العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية، وأن ينظر ويتدبّر في التراكيب والأساليب والمعاني ليكشف عن آفاق التأويل وحدوده.

3) الفرق بين التفسير والتأويل:

حاول بعض العلماء تقديم جملة من المقولات والاستشهادات التي تروم التفريق بين التفسير والتأويل، فما تعلق بظاهر اللفظ فهو تفسير، وما تعلق بالباطن فهو تأويل. كما أن التفسير أكثر ما يستعمل في مفردات الألفاظ، في حين أن التأويل يخص الجمل والنصوص. وقد

---

[2]- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مج1، ص80.
[3]- ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، ص32.
[4]- الشريف الجرجاني، التعريفات، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1990، ص65،66.

أورد الشريف الجرجاني في كتابه (التعريفات) مثلا للتمييز بين التأويل والتفسير قائلا: في قوله تعالى: "يخرجُ الحيَّ من الميت" إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل كان تأويلا"[5].

4) التأويل عند النقاد العرب القدامى:

أدرك النقاد العرب القدامى أن النص الأدبي يحتمل وجوهًا كثيرة من القراءة والتأويل، متجاوزين في ذلك التفسير اللغوي للنصوص الشعرية، لقناعتهم بأن التأويل يرتبط بالأبعاد المعرفية أو الجوانب الخفية من العلم...فمُؤَولُ النصوص الأدبية يبحث عن الدلالات المضمرة التي لا تحد ولا تنتهي، أي النفاذ إلى عالم النص وحل مستويات المعنى الكامنة فيه (الظاهر، الباطن، الحرفي، المجازي، المباشر، غير المباشر...)

التفسير← ظاهر النص← محدود

التأويل ← باطن النص← غير محدود

5) نماذج من تأويل القدامى للنصوص الشعرية:

أ) القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت392): يرى القاضي الجرجاني أن باب التأويل واسع والمقاصد مغيبة، وإنما يستشهد بالظاهر، ويتبع موقع اللفظ. وقد مثل بقول المتنبي:

ما بقومِي شرفتُ بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرتُ لا بجدودي

فالدلالة الظاهرة للبيت أن الشاعر يعترف بأنه لا شرف لهُ بآبائِه، وهذا هجو صريح. ويزعم الجرجاني أن المتنبي يتقصد بالقول: ما شرفتُ فقط بآبائي ولكن لي مفاخر أخرى غير ذلك كالشجاعة والفصاحة والفروسية...وهو الذي قال:

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني**والسيف والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ

[5]- الشريف الجرجاني، التعريفات، ص66.

ب) عبد القاهر الجرجاني (ت471)

يميز عبد القاهر الجرجاني بين ضربين من الكلام، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، وضرب آخر يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل، ومن هذا المنظور ميّز عبد القاهر الجرجاني بين المعنى البسيط ومعنى المعنى، أي ظاهر اللفظ الذي تصل إليه بغير واسطة كقولنا(امرأة ميسورة الحال)، ومعنى المعنى، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر (امرأة نؤوم الضحى)أي أنها مترفة مخدومة،لها من يكفيها أمرها.

5) التأويل في النقد المعاصر

يعرف علم التأويل (التأويلية) بالهيرمينوطيقا (*L'herméneutique*). وهي مشتقة من اسم الإله اليوناني هيرمس Hermès (وتعني الكلمة في اللاتينية القديمة العلوم السرية وأسرار الكيمياء التي لا يعرفها سوى الإله العارف هيرمس) .

اهتدى الدرس النقدي المعاصر إلى المنهج التأويلي الذي يمنح للنص أبعادًا دلالية غير متناهية (لا محدودية التأويل) قصد استيعاب مكامن النص الظاهرية والباطنية.

فالتأويلية المعاصرة ارتبطت بعنصري القراءة والتلقي في شرح وتفسير الخطاب الأدبي والديني وتحويله إلى مدركات ورؤى ذات دلالات معينة.

وقد حاولت معظم المناهج والنظريات النقدية المعاصرة معاينة النصوص أو مقاربتها بنوع من التأويل بالتركيز على ثلاثة عناصر أساسية هي:

المؤلف ← ← ← **النص** ← ← ← **القارئ**

ومن أهم رواد التأويلية المعاصرة في النقد الغربي المعاصر، هانس جورج قادمر (H.G.Gadamer) (2002/1900)، بول ريكور (P.Ricoeur) (2005/1913)، أمبرطو إيكو (Umberto.Eco) (2016/1932).

أما رواد التأويلية في الفكر العربي المعاصر نجد نصر حامد أبوزيد (1943-2010) ،ومحمد أركون (1928-2010)، محمد شوقي الزين(من مواليد 1992م)، محمد عابد الجابري(1935-2010).

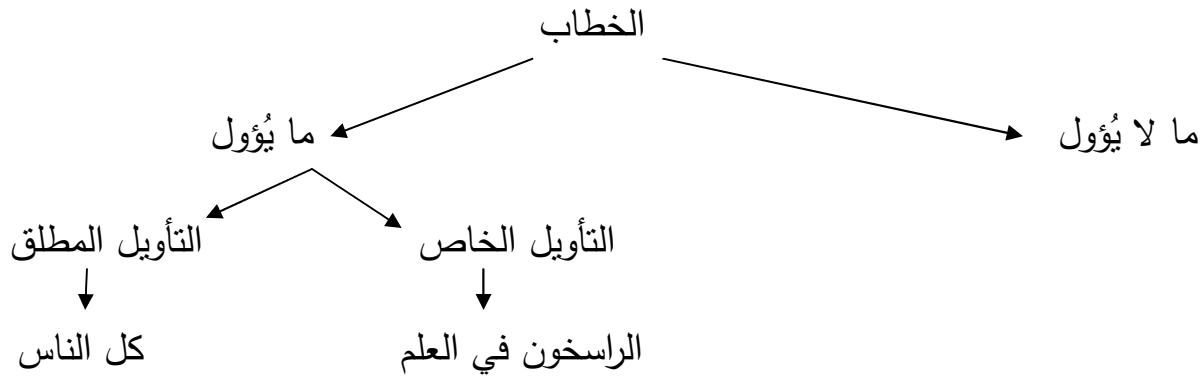

ما لا يؤول من النصوص القرآنية (المحكم) ← البين الواضح الذي لا يلتبس أمره← النصوص القطعية الثبوت والقطعية الدلالة ←**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم (النساء،الآية23)**

ما يؤول من النصوص القرآنية (المتشابه) المتشابه ← ما يحتمل أوجها عدة← **النصوص الظنية الدلالة ← وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين(المائدة ،الآية6).**